الدلالات للبناء النرجسي في «وليد مسعود»

غالب هلسا

كيف اختفى وليد، ولماذا؟

وليد مسعود فلسطيني يعيش في بغداد منذ عام ١٩٤٩. وهو يعمل موظفاً في البنك العربي في بغداد. ومن خلال عمله في البنك، يتّقن العمليات المالية، وأساليب الكسب المريح والسريع، فيصبح ثرياً. ولكنه، بسبب كونه ثورياً، يهوى، بشكل خاص، ذبح عشرات الصهاينة. ولأنه ذو تكوين ثقافي متميّز (فيلسوف، يلغي الماركسية ويضع فلسفة بديلة) يظل ثرياً، فقط، لا ثرياً جداً.

وحين يتهم أحد وليداً بأنه برجوازي يفحمه وليد، كما فعل مع الشيوعي كاظم:

«لم تعرف يوماً قرص الجوع، ولم تعرف هجمة البرد عندما يهاجمك الشتاء وليس لديك سوى دشداشة واحدة، دشداشة قطنية مرقّعة واحدة تكاد لا تغطي خصيتيك...».

وكاظم، مثل كل الشيوعيين في روايات جبرا ابراهيم جبرا، يحرّكه كره الناس والحقد عليهم حسداً:

«ما تفوّهت يوماً بكلمة، ما كتبت يوماً كلمة صادرة عن حب لشيء، أو انتصافاً لأحد. ما تفوّهت ولا كتبت إلا عن حقد كثير الإلتواءات والعقد في نفسك، حقد تجاه كل شيء، تجاه كل أحد. هل تظن أن هناك أي عمل كبير يصدر إلا عن حب؟».

والفارق بين وليد الذي يحب الفقراء، ويريد أن يجعلهم كلهم أغنياء، وكاظم الشيوعي، كبير جداً. أنظروا إلى الشيوعي، عندما يلتقي بعامل، ماذا يفعل:

«وعلى حين غرة، من بين عشرات الأيدي العابرة، امتدّت يد واستقرّت في كفه قبل أن يستبين صاحبها الذي هتف به: يا هلا بعمي كاظم، يا هلا».

«فسحب كاظم كفه من القبضة الصلبة الباردة بسرعة، وقال: ــ مهدي؟ شلونك؟».

ونكتشف أن مهدي عاملاً «بقسم المكاين»، والفضل في إيجاد عمل له يعود إلى وليد.